حَقيقة الصُوفية

في ضوء الكتاب والسُنّة

بقلم
الدكتور محمد بن ربيع هادي المدخلي
المدرس في الجامعة الإسلامية
بالمدينة النبوية

٧- حقيقة الصوفية في ميزان الكتاب والسنة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وبعد: فهذه محاضرة قمت بإلقائها على طلبة دار الحديث المكية عام ١٤٠١هـ وهي بعنوان «حقيقة الصوفية في ضوء الكتاب والسنة».

وقد طلب مني بعض الدعاة طبعها ونشرها لتعم بها الفائدة فلبيت الطلب رغم ضيق الوقت لديّ، وقد راعيت عند إعدادها مدارك الطلاب الذين أُلقيت عليهم، فجاءت بحمد الله مبسطة مع شمولها لجوانب الموضوع.

وأسأل الله تعالى أن ينفع بها كل طالب للحق والله من وراء القصد.

المؤلف

مكة المباركة في ١٤٠٤/٣/٦هـ

تمهيد:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله.

أما بعد..

فإن الله تبارك وتعالى خلقنا في هذه الحياة لحكمة عظيمة يحبها ويرضاها ألا وهي عبادته وحده لا شريك له كما قال تعالى ﴿**ما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾ [الذاريات:٥٥].

وقد ميز الله الإنسان من بين سائر المخلوقات بأن منحه العقل الذي يستطيع أن يعرف به ربه ويستطيع أن يميز بين ما ينفعه ويضره ومن رحمته سبحانه بعباده لم يكلهم في معرفة الخير والشر إلى العقل وحده، بل أرسل الرسل وأنزل إليهم الكتب التي تشتمل على أوامر الله ونواهيه وأحكامه التي فيها سعادة البشر في الدنيا والآخرة.

وبعد إرسال الرسل لا تبقى حجة أو عذر لضال أو زائغ عن طريق الله، بل يكون مستحقاً للعذاب، قال تعالى: ﴿**رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل**﴾ [النساء:١٩٤].

وقد ختم الله الرسل بنبينا محمد ﷺ فهو خاتم الرسل وأفضلهم. وقد أنزل عليه أفضل الكتب فكانت شريعته أكمل وأعظم الشرائع ولم يلتحق ﷺ بالرفيق الأعلى حتى أكمل الله الدين وأتم النعمة كما قال تعالى في الآية التي أنزلت قبيل وفاته ﷺ وذلك في يوم عرفة وهو بالموقف في حجة الوداع ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً**﴾ [المائدة:٤]، فلم يبق مجال لأحد كائناً من كان أن يبتدع في الدين شيئاً أو يزيد فيه أو ينقص منه. وكان أول ما دعا إليه رسول الله ﷺ هو التوحيد المتمثل في شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. وقد مكث بمكة بعد البعثة ثلاثة عشر عاماً يدعو إلى هذه الكلمة التي هي أساس الدّين. وقد اطبقت الرسل على الدعوة إلى هذه الكلمة فما منهم من أحد إلا افتتح دعوته لقومه بقوله «أعبدوا الله مالكم من اله غيره» فالتوحيد هو زبدة الرسالات وغايتها وقطب رحاها ترتكز كلها عليه وتستند في وجودها إليه ولنستشهد ببعض الآيات في ذلك:

قال الله تعالى: ﴿**ولقد بعثنا في كل أمّة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين**﴾ [النحل:٣٦].

وقال تعالى: ﴿**لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم**﴾ [الأعراف:٥٩].

وقال تعالى: ﴿**وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره،أفلا تتقون**﴾ [الأعراف:٦٥]، وقال تعالى: ﴿**وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم أعبدوا الله ما لكم من إله غيره، هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه**﴾ [هود:٦١].

وقال تعالى: ﴿**وإلى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره**﴾ [هود:٨٤].

إلى غير ذلك من الآيات التي تنص على أن الدعوة إلى التوحيد هي أول ما يفاتح به الرسل قومهم لأن التوحيد هو أساس الإسلام الذي هو دين الرسل والأنبياء جميعاً فإذا ثبت الأساس يبني عليه غيره من العبادات والأحكام.

وليس معنى هذا أن يستهين الدعاة بفروع الإسلام الأخرى. ولكن من المتفق عليه أنه لا يصح عمل ولا يقبل ما لم تكن عقيدة صاحب هذا العمل خالصة وصحيحة. كما أنه لا يصح أن نبني داراً قبل أن نثبت الأساس الذي تبني عليه، وإلا فإن البناء سرعان ما ينهار ويسقط. ويؤكد هذا أن الشرك وهو ضد التوحيد أعظم إثماً وجرماً مما سواه من الذنوب، ولذلك أخبر الله تعالى أن من مات على الشرك لا يغفر الله له، قال تعالى:

﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ [النساء: ٤٩-١١٦].

وكل ذنب يقترفه الإنسان دون الشرك بالله والكفر به هناك رجاء أن يغفره الله ويدخل صاحبه الجنة إذا كان سالماً من أوضار الشرك، إما من مات على الشرك بالله ولو كان يدعي الإسلام فمصيره المحتوم هو النار أجارنا الله وإياكم منها.

لذلك أيها الإخوة وأيها الدعاة يجب أن ننتبه لهذا الأمر العظيم لهذا الأمر الجليل فندعو الناس إلى التوحيد ونحذرهم من الشرك بالله ونجعل ذلك في رأس قائمة ما ندعو إليه.

وحينما بعث رسول الله ﷺ معاذاً إلى اليمن ليدعوهم إلى الله علمه كيف يبدأ دعوته حيث أرشده إلى الأهم فالمهم؛ فعن ابن عباس رضي الله عنهما «أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له: إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله - وفي رواية أن يوحدوا الله- فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم،فأن هم أطاعوك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتّق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب» (متفق عليه).

والشاهد من الحديث هو إرشاده ﷺ معاذاً إلى كيفية الدعوة وأن يبدأ بالدعوة إلى التوحيد قبل كل شئ فمتى دخلوا في التوحيد فحينئذ يدعوهم إلى الشرائع الأخرى بادئاً بالصلاة التي هي رأس العبادات، فينبغي أن يكون لكل داعٍ في رسول الله ﷺ أسوة حسنة.

أيها الأخوة.. وإذا علم هذا فإن هناك دعوات هدامة قامت في صفوف المسلمين زعزعت العقيدة في قلوب كثير من المسلمين وعكرت صفاء الاعتقاد الخالص وتدرجت في مدارجها حتى بلغت مبلغاً خطيراً أدى إلى تفرق المسلمين إلى شيع وأحزاب حيث يصدق عليهم قوله ﷺ: «**ألا وإن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين ثنتات وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، وهي الجماعة**» رواه أحمد وأبو داود وحسنه الحافظ.

ولا شك أن كل فرقة من هذه الفرق تزعم نفسها أنها هي الفرقة الناجية، وأنها على الصواب، وأنها تتبع الرسول دون غيرها، علماً بأن طريق الحق هو طريق واحد، وهو المؤدي إلى النجاة وما سواه فهي طرق ضلال تؤدي إلى الهلاك كما ورد في الحديث عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «**خط رسول الله خطاً بيده وقال: هذا سبيل الله مستقيماً، ثم خط خطوطاً عن**

يمينه وشماله ثم قال: هذه السبل ليس منها سبيل إلا شيطان يدعو إليه ثم قرأ: وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله» (صحيح رواه أحمد والنسائي). فطريق الحق هو التمسك بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، وعدم مخالفتهما كما ورد في الحديث. «تركت فيكم شيئين لن تظلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض» (صحيح رواه الحاكم).

وقد بشرنا النبي ﷺ ببقاء طائفة من أمته على الحق إلى يوم القيامة فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: **«سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة»**. (رواه مسلم).

أيها الأخوة.. كان ذلك تمهيداً للموضوع الذي سأتطرق إليه وهو: «الصوفية في ضوء الكتاب والسنة» ذلك لأن الصوفية قد لعبت دوراً كبيراً في حياة المسلمين منذ القرن الرابع الهجري إلى يومنا هذا وقد بلغت أوج مجدها في القرون المتأخرة. وقد أثرت تأثيراً بالغاً في عقائد المسلمين وغيّرتها من مسارها الصحيح الذي جاء به القرآن الكريم والسنة المطهرة وكان ذلك هو أخطر جانب من جوانب الصوفية حيث اقترن بالفكر الصوفي التعلق بالأولياء والمشايخ والمبالغة في تقديس الأموات،

كما اقترن بها القول بالحلول ووحدة الوجود، إضافة إلى ما أفسدت الصوفية من الجوانب الأخرى. حيث يتسم اتباعها بالتواكل والرهبنة كما أنها عطلت الروح الجهادية في الأمة الإسلامية إذ اشتغلوا عن الجهاد الصحيح الذي هو القتال في سبيل الله –الذي يسمونه الجهاد الأصغر– اشتغلوا عنه على حد زعمهم بالجهاد الأكبر وهو جهاد النفس، مستندين إلى حديث: «**رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر جهاد النفس**» وهو حديث باطل مما أتاح للدول الاستعمارية الفرصة في القرنين الماضيين باحتلال أغلب ديار المسلمين ولا تزال الصوفية ضاربة أطنابها في غالب أرجاء بلاد المسلمين.

تعريف الصوفية:

لماذا سمّيت بهذا الإسم؟

إن كلمة الصوفية مأخوذة من كلمة يونانية (صوفيا) ومعناها الحكمة، وقيل إنه نسبة إلى لبس الصوف – ولعل هذا المعنى الأقرب للصحة – لأن لبس الصوف كان علامة على الزهد، ويقال إن ذلك تشبهاً بالمسيح عيسى بن مريم عليه السلام.

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الفتاوي[١] عن محمد بن سيرين أنه بلغه أن قوماً يفضلون لباس الصوف

١- ١١:٧ .

فقال: إن قوماً يتخذون الصوف يقولون أنهم يتشبهون بالمسيح ابن مريم، وهدي نبينا أحب إلينا، وكان النبي ﷺ يلبس القطن وغيره.

تاريخ ظهور الصوفية:

أما تاريخ ظهور الصوفية، فإن لفظ «الصوفية» لم يكن معروفاً على عهد الصحابة بل لم يكن مشهوراً في القرون الثلاثة المفضلة. وإنما اشتهر بعد القرون الثلاثة الأول(١).

ويذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن أول ظهور الصوفية من البصرة بالعراق، وكان في البصرة من المبالغة في الزهد والعبادة ما لم يكن في سائر أهل الأمصار(٢).

كيف نشأت الصوفية:

وعند نشأة التصوف لم يكن هناك تميز كامل للمتصوفة بل كان الأمر مقتصراً على المبالغة في الزهد وملازمة الذكر والخوف الشديد عند الذكر الذي قد يؤدي إلى الإغماء أو الموت عند سماع آية وعيد كقصة زرارة بن أوفى الذي قيل إنه قرأ في صلاة الفجر: ﴿**فإذا نقر في الناقور**﴾ فخرَّ ميتاً.

١- الفتاوي: ١١:٥ .

٢- نفس المصدر ص٦ .

وقصة أبي جهر الأعمى الذي قرأ عليه صالح المري فمات. وكان فيهم طوائف يصعقون عند سماع القرآن.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية معلقاً على ذلك: «ولم يكن في الصحابة من هذا حاله. فلما ظهر ذلك أنكر ذلك طائفة من الصحابة والتابعين كأسماء بنت أبي بكر وعبدالله بن الزبير ومحمد ابن سيرين.. لأنهم رأوا ذلك بدعة مخالفة لما عرف من هدي الصحابة»(١).

ويقول ابن الجوزي في تلبيس إبليس:

«والتصوف طريقة كان ابتداؤها الزهد الكلي ثم ترخص المنتسبون إليها بالسماع والرقص؛ فمال إليهم طلاب الآخرة من العوام لما يظهرونه من التزهد ومال إليهم طلاب الدنيا لما يرون عندهم من الراحة واللعب»(٢).

ويقول الشيخ أبو زهرة رحمه الله في بيان سبب ظهور التصوف والينابيع التي استقى منها: «نشأ التصوف من ينبوعين مختلفين تلاقيا:

١- «الينبوع الأول: هو انصراف بعض العباد المسلمين إلى الزهد في الدنيا والانقطاع للعبادة وقد ابتدأ ذلك في عصر النبي

١- نفس المصدر ص٦ .

٢- تلبيس إبليس ص١٦١ .

ﷺ فكان من الصحابة من اعتزم أن يقوم الليل مصلياً متهجداً ولا ينام. ومنهم من يصوم ولا يفطر. ومنهم من ينقطع عن النساء. فلما بلغ أمرهم إلى النبي ﷺ قال: «**ما بال أقوام يقولون كذا وكذا؟ لكني أصوم وأفطر وأصلي وأنام، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**» (متفق عليه).

ولقد نهى عليه السلام عن تجاوز حدود الشريعة في الإسلام. ولكن بعد أن انتقل النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى ودخل في الإسلام ناس كثيرون من أهل الديانات السابقة.. كثر الزهاد الذين غالوا في الزهادة في الدنيا ونعيمها.. وفي وسط تلك النفوس وجد التصوف مكانه إذ وجد أرضاً خصبة.

٢- والمنزع الثاني الذي وجه النفوس هو ما سرى إلى المسلمين من فكرتين إحداهما فلسفية والأخرى من الديانات القديمة.

أما الفكرة الأولى: فهي فكرة الاشراقيين من الفلاسفة وهم الذين يرون أن المعرفة تقذف في النفس بالرياضة الروحية والتهذيب النفسي.

والفكرة الثانية: فكرة الحلول الإلهي في النفوس الإنسانية أو حلول اللاهوت في الناسوت[1] وتلك الفكرة قد ابتدأت

١- في الأصل الناسوت في اللاهوت وقد أثبت الصواب.

تدخل في الطوائف التي كانت تنتمي كذباً إلى الإسلام في الصدر الأول عندما اختلط المسلمون بالنصارى، وقد ظهرت تلك الفكرة في السبئية وبعض الكيسانية ثم القرامطة ثم في بعض الباطنية ثم ظهرت في لونها الأخير في بعض الصوفية».

«وهناك معين آخر أخذت منه فيما يظهر النزعات الصوفية وهو كون النصوص والأحكام –أي نصوص القرآن والسنة– لها ظاهر وباطن.. ويظهر أن المتصوفة قد استفادوا واستعاروا ذلك التفكير من الباطنية..»(١).

وهكذا اختلطت تلك المنازع كلها من مغالاة في الزهد إلى فتح الباب لأفكار الحلول ثم وحدة الوجود، ثم كان من اختلاطها ذلك التصوف الذي ظهر في الإسلام واشتد في القرن الرابع والخامس، ثم بلغ أقصى مداه فيما بعد ذلك، بعيداً كل البعد عن هدي القرآن الكريم والسنة المطهرة حتى بلغ أن المتصوفة يسمون من يتبع القرآن والسنة أهل الشريعة وأهل الظاهر ويسمون أنفسهم أهل الحقيقة وأهل الباطن.

* * *

١- كتاب «ابن تيمية» لأبي زهرة ص١٩٨/١٩٧ .

مذاهب الصوفية:

يمكن تقسيم مذاهب الغلاة من الصوفية إلى ثلاثة أقسام:

١- **القسم الأول**: أهل المذهب الإشراقي. وهو الذي غلبت فيه الناحية الفلسفية على ما عداها من الزهد، والمقصود بالمذهب الإشراقي، الإشراق النفسي الذي يفيض في القلب بالنور، والذي يكون نتيجة للتربية النفسية والرياضة الروحية وتعذيب الجسم لتنقية الروح وتصفيتها ويمكن أن تكون هذه الصفة يشترك فيها جميع الصوفية وأهل هذا القسم توقفوا عند هذا الحد ولم يقعوا فيما وقع فيه غيرهم من القائلين بالحلول ووحدة الوجود ولكن هذا الاسلوب مخالف لتعاليم الإسلام وهو مأخوذ من الديانات المنحرفة كالهندوسية والبوذية.

٢- **المذهب الثاني**: مذهب الحلول وهم القائلون بأن الله يحل في الإنسان -تعالى الله عن ذلك- وقد نادى بذلك بعض الغلاة من الصوفية كالحسين بن منصور الحلاج الذي أفتى العلماء بكفره وقتله، وقد قتل وصلب سنة ٣٠٩هـ وقد نُسب إليه قوله:

سبحان من أظهر ناسوته   سِرَّ سنا لاهوته الثاقب
ثم بدا في خلقه ظاهراً   في صورة الآكل والشارب
حتى لقد عاينه خلقه   كلحظة الحاجب بالحاجب[1]

١- عزاه الوكيل لكتاب الطواسين للحلاج ص١٣٠ .

وقوله:

أنا من أهوى ومن أهوى أنا   نحن روحان حللنا بدنا
فإذا أبصرتني أبصرته   وإذا أبصرته أبصرتنا

فالحلاج حلولي يؤمن بثنائية الحقيقة الإلهية، فيزعم أن الاله له طبيعتان: هما اللاهوت والناسوت، وقد حل اللاهوت في الناسوت فروح الإنسان هي لاهوت الحقيقة الإلهية وبدنه ناسوته.

ورغم أنه قتل لزندقته فقد تبرأ منه بعض الصوفية وأما بعضهم فقد عدوه من الصوفية وصححوا له حاله ودونوا كلامه ومنهم أبو العباس بن عطاء البغدادي ومحمد بن خفيف الشيرازي وإبراهيم النصراباذي[١] كما نقل ذلك الخطيب البغدادي.

٣- **المذهب الثالث**: القول بوحدة الوجود وهو يقرر أن الموجود واحد في الحقيقة وكل ما نراه ليس إلا تعينات للذات الإلهية وزعيم هذه الطائفة ابن عربي الحاتمي الطائي المدفون بدمشق والمتوفي سنة ٦٣٨هـ، ويقول في ذلك في كتابه الفتوحات المكية:

العبد رب والرب عبد   يا ليت شعري من المكلف
إن قلت عبد فذاك حق   أو قلت رب أني يكلف[٢]

١- تاريخ بغداد ٨:١١٢ .

٢- الفتوحات المكية كما عزاه الدكتور تقي الدين الهلالي في كتابه «الهدية الهادية» ص٤٣ .

ويقول أيضاً في الفتوحات:

«إن الذين عبدوا العجل ما عبدوا غير الله»(١).

وابن عربي هذا يلقبه الصوفية بالعارف بالله، والقطب الأكبر، والمسك الأذفر، والكبريت الأحمر، مع قوله بوحدة الوجود وغيرها من الطامات، فإنه يمدح فرعون ويحكم بأنه مات على الإيمان، ويذم هارون على إنكاره على قومه عبادة العجل مخالفاً بذلك نص القرآن، ويرى أن النَّصَارى إنما كفروا لأنهم خصصوا عيسى بالألوهية ولو عمموا لما كفروا(٢).

ومن هذه الطائفة ابن بشيش الذي يقول «اللهم انشلني من أوحال التوحيد وأغرقني في عين بحر الوحدة وزج بي في الأحدية حتى لا أرى ولا أسمع ولا أحس إلا بها».

١- عزاه ابن تيمية في الفتاوي ج١١ إلى الفتوحات لابن عربي، وأنظر تنبيه الغبي للبقاعي ص١٢٤،١٢٧ .

٢- مع كل ضلالات ابن عربي وتكفير العلماء له فهو لا يزال مقدساً لدى الصوفية وغيرهم من الناس الذين لا يميزون بين الحق والباطل، والمعرضين عن قبول الحق مع وضوحه كالشمس. ولا تزال كتبه المليئة بالزندقة كالفتوحات المكية وفصوص الحكم متداولة وله تفسير للقرآن سماه «التفسير الباطن» لأن لكل آيه عنده ظاهراً وباطناً فظاهرها لأهل التفسير وباطنها لأهل التأويل (أنظر مقدمته للتفسير المذكور) طبع بيروت.

تقديس المشايخ عند الصوفية:

فهذه أيها الإخوة الكرام مذاهب الصوفية أهونها الرهبانية التي نهى عنها الإسلام وأفظعها القول بالحلول ووحدة الوجود وقد بالغت جميع الطوائف الصوفية في تقديس المشايخ وإذلال التلميذ المسمى -المريد- لشيخه، فيكون المريد مطيعاً لشيخه طاعة مطلقة لا اعتراض فيها حتى يكون في يد الشيخ كالميت في يد الغاسل.

ويقول محمد عثمان الصوفي صاحب الهبات المقتبسة عند ذكر آداب المريد: «ومنها أن تجلس جلوس الصلاة عنده، وأن تفنى فيه، وألا تجلس فوق سجادته وألا تتوضأ بإبريقه ولا تتكئ على عكازه. واسمع إلى ما قال بعض الصوفية: من قال لشيخه لِمَ؟ لم يفلح!!.

وقد نظمها مصطفى البكري في بلغة المريد بقوله:

وسلم الأمر له لا تعترض ... ولو بعصيان أتى إذا فرض
وكن لديه مثل ميت فإني ... لدى مغسّل لتمس داني
ولا تطأ له على سجادة ... ولا تنم له على وسادة[1]

١- عزاه الوكيل إلى بلغة المريد.

ففرضت الصوفية على التلميذ أن يكون مستعبد الفكر والبدن لشيخه سليب الإرادة كجثة الميت في يد الغاسل حتى لو رآه يرتكب معصية أو مخالفة فلا يجوز له حتى الإستفسار عن السبب وإلا طرد من رحمة شيخه ولم يفلح. وهذا من أسباب انحراف الصوفية لأنهم قد ألغوا النهي عن المنكر حتى أصبح المنكر معروفاً عندهم بل قربة وكرامة.

أما تعاليم الإسلام الصحيحة فإنه لا تجوز الطاعة في المعصية كما قال ﷺ : «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق» (صحيح رواه أحمد)[1] وحتى الوالدين الذين لهما حق أكبر من كل أحد لا يجوز طاعتهما في معصية الله كما قال تعالى: ﴿**وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً**﴾ [لقمان].

* * *

١- أنظر صحيح الجامع الصغير.

الفرق بين الزهد والتصوف:

أيها الأخوة إن دين الإسلام يأمر بالاعتدال والتوسط في كل شيء فلا إفراط ولا تفريط وفي الإسلام الزهد في الدنيا وسط بين جشع اليهود وإفراطهم في حب الدنيا وبين أهل الرهبانية من النصارى الذين فرطوا في الأخذ بالأسباب وقعدوا عن العمل والاكتساب.

والزهد إذا كان في حدود الإتباع فهو ممدوح في الإسلام ولذلك كان النبي ﷺ أول الزاهدين في متاع الدنيا وكذلك أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وأكثر الصحابة.

ولم يكن زهدهم إهمال الكسب والعكوف في الأربطة لانتظار ما يجود به عليهم الناس بل كانت الدنيا تأتيهم فينفقونها في وجوه الخير ولم يكونوا يتركون الطيبات إلا حينما تتعذر عليهم، فإذا وجدت تمتعوا بها، وكان النبي ﷺ يحب النساء والطيب ويأكل اللحم، ويصوم ويفطر، ويقوم وينام ويعمل، ويجاهد، ويحكم بين المسلمين ويعلمهم القرآن والخير.

ووجد في الأئمة زهاد على الطريقة التي كان عليها رسول الله ﷺ وهذا الزهد الذي كان عليه الرسول ﷺ ليس واجباً على المسلمين بدليل أنه لم يرد في القرآن ولا في السنة إيجابه، وبدليل أن الصحابة فيهم من كان يشتغل بالتجارة ويجمع المال

الكثير كعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وكان الأنصار لهم بساتين يشتغلون بها فلم يمنعهم النبي ﷺ عن ذلك بل ورد في الحديث «**نعم المال الصالح للرجل الصالح**» (صحيح رواه أحمد)، ودعا ﷺ لخادمه أنس بن مالك وكان في آخر دعائه «**اللهم أكثر ماله وولده وبارك له**»(١).

أما زهد الصوفية... فهو ترك التكسب من الحلال والعمل النافع والعكوف في الأربطة لانتظار ما يجود به الناس أو التكفف والاستجداء أو غشيان الحكام والتجار والتدجيل عليهم ومدحهم لينالوا من فتات موائدهم.

وكذلك التكلف في الظهور بمظهر الفاقة في ملابسهم بلبس المرقعات البالية إظهاراً للتزهد والصلاح والولاية.

وبعضهم قد يكون صادقاً في تقشفه فيمكث الأيام الكثيرة لا يأكل أو يأكل الخبز الناشف بالملح وهو قادر على أن يأكل من الطيبات، مخالفاً لسنته ﷺ وقد قال «**فمن رغب عن سنتي فليس مني**» (متفق عليه). وقد كان النبي ﷺ يأكل اللحم ويحب الذراع من الشاة. وبعض الصوفية يبالغ فيما يضره فقد يأكل بعضهم الرماد والتراب ويتعمد شرب الماء العكر ويجتنب الماء الصافي والبارد بحجة أنه لا يستطيع أن يؤدي شكره؛

١- صحيح البخاري كتاب الدعوات رقم ٦٣٤٤ .

وهذه حجة واهية، فهل إذا ترك الماء البارد يكون قد أدى الشكر لله على بقية النعم؟ كالبصر والسمع والصحة وغير ذلك؟ بل من يفعل ذلك فهو آثم لأنه فعل ما يضر بجسمه ويودي به إلى الهلاك والله تعالى يقول: ﴿**ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً**﴾ وقال تعالى: ﴿**يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر**﴾ وقد أباح للمسلم أن يفطر في رمضان إذا كان مسافراً أو مريضاً رحمة بنا فلله الحمد والمنة.

وقد كان التقشف المشار إليه في أوائل المتصوفة أما المتأخرون فصارت همتهم المأكل والمشرب، يقول ابن الجوزي في تلبيس إبليس بعد أن انتقد الصوفية في تقشفهم وخروجهم عن الاعتدال في الزهد إلى حد تعذيب انفسهم ثم قال: «وهذا الذي نهينا عنه من التقلل الزائد في الحد قد انعكس في صوفية زماننا -أي في القرن السادس- فصارت همتهم في المأكل كما كانت همة متقدميهم في الجوع، لهم الغداء والعشاء والحلوى وكل ذلك أو أكثره حاصل من أموال وسخة، وقد تركوا الكسب في الدنيا وأعرضوا عن التعبد وافترشوا فراش البطالة فلا همة لأكثرهم إلا الأكل والشرب واللعب».

وما حكاه ابن الجوزي هو حال صوفية زماننا هذا، بل زادوا عليه أضعافاً.

نماذج من شطحات غلاة الصوفية:

أيها الأخوة ليس القصد من بيان حال الصوفية الشماتة أو التندر، بل المقصود تحذير كل مسلم من الاغترار بشيء من ترهاتهم أو الانخداع بحيلهم ومغالطاتهم.

ولقد صنف علماؤنا قديماً وحديثاً الكتب للرد على ضلالات الصوفية ومن ذلك كتاب (تلبيس ابليس) للحافظ أبي الفرج أبن الجوزي المتوفي سنة ٥٩٧ وقد خصص منه زهاء ثلاثمائة صفحة لنقد مسالك الصوفية في عقائدهم وعاداتهم وملابسهم وترخصهم في السماع والأغاني والرقص ومصاحبتهم الأحداث والمردان وغير ذلك.

وكذلك اعتنى بالرد عليهم بل وأعلن حربه عليهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وقد تعرض على أيديهم للأذى والسجن حتى مات في السجن رحمه الله، وألف العلامة برهان الدين البقاعي المتوفي سنة ٨٨٥ كتابين في الرد على المتصوفة وهما:

١- تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي.

٢- تحذير العباد من أهل العناد ببدعة الاتحاد.

وهما مطبوعان ضمن كتاب واحد بتحقيق الشيخ عبد الرحمن الوكيل رحمه الله سماه «مصرع التصوف».

وقد نقل البقاعي أقوال العلماء في تكفير ابن عربي وابن الفارض كما استشهد بأقوالهم وأشعارهم التي كفرهما العلماء بسببها.

أيها الأخوة.. يقول العلامة برهان الدين البقاعي في بيان عقيدة ابن عربي في أول كتابه «تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي»: «ينبغي أن يعلم أولاً أن كلامه -أي ابن عربي- دائر على الوحدة المطلقة وهي أنه لا شيء سوى هذا العالم، وأن الاله أمر كلي لا وجود له إلا في ضمن جزئياته».

واستمعوا إلى قول ابن عربي في معنى اسم الله تعالى «العلي» إذ يقول: ومن أسمائه الحسنى «العلي» على من؟ وما ثم إلا هو!! فهو العلي لذاته أو عن ماذا؟ وما هو إلا هو.. فعلوه لنفسه، وهو من حيث الوجود عين الموجودات [إلى أن قال عن الله] فهو عين ما ظهر وهو عين ما بطن في حال ظهوره وما ثم من يراه غيره وما ثم ما يبطن عنه فهو ظاهر لنفسه باطن عنه، وهو المسمى أبا سعيد الخراز [!!] وغير ذلك من أسماء المحدثات»[1].

فكل شيء عند ابن عربي هو الله، وصرح بأن الله هو أبو سعيد الخراز وأبو سعيد الخراز صوفي من بغداد توفي سنة ٢٧٧هـ.

١- أورده البقاعي ص ٦٣، ٦٤ وعزاه الركيل إلى الفصوص ص ٧٦-٧٧ لابن عربي.

أليس هذا الكلام أيها الأخوة أعظم من قول النصارى في الله؟ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

قال الإمام زين الدين العراقي في جواب من سأله عن حال ابن عربي: «وأما قوله فهو عين ما ظهر وعين ما بطن فهو كلام مسموم في ظاهره القول بالوحدة المطلقة وأن جميع مخلوقاته هي عينه ويدل على إرادته لذلك صريحاً قوله بعد ذلك: وهو المسمى أبا سعيد الخراز وغير ذلك من أسماء المحدثات.. وقائل ذلك والمعتقد له كافر باجماع العلماء[1].

وحدة الأديان عند ابن عربي:

وابن عربي يقر جميع المشركين والوثنيين أنهم على حق لأن الله كل شيء فمن عبد صنماً أو عبد الحجراً أو شجراً أو إنساناً أو كوكباً فقد عبدالله، فيقول في ذلك: «والعارف المكمّل من رأي كل معبود مجلى للحق يعبد فيه، ولذلك سموه كلهم إلهاً مع اسمه الخاص بحجر، أو شجر، أو حيوان، أو إنسان، أو كوكب أو ملك»[2]. فابن عربي يصوب عبادتهم لأن كل ما عبدوه ليس إلا رباً تجلى في صورة إنسان أو شجر أو حجر.

١- كتاب البقاعي ص٦٦ .

٢- الفصوص ١:١٩٥ «الوكيل هذه هي الصوفية ص٣٨».

أيها الأخوة فإذا كفرت الصابئة لأنهم عبدوا الكواكب وكفرت اليهود لأنهم عبدوا العجل وكفرت النصارى لأنهم عبدوا عيسى وكفرت قريش قبل الإسلم لعبادتها الأصنام.. فكيف لا يكفر من يدعو إلى عبادة كل هذه الأشياء[1]؟.

ويعترف ابن عربي بإيمانه بوحدة الأديان وأن قلبه يتسع لكل ملة ودين فيقول في كتابه «ذخائر الأعلاق شرح ترجمان الأشواق»:

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي إذا لم يكن ديني إلى دينه داني
لقد صار قلبي قابلاً كل صورة فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف وألواح توراة ومصحف قرآن
أُدين بدين الحب أنَّي توجهت ركائبه فالحبّ ديني وإيماني[2]

ويحذر ابن عربي أتباعه أن يؤمنوا بدين خاص ويكفروا بما سواه فيقول في الفصوص: «فإياك أن تتقيد بعقد مخصوص وتكفر بما سواه فيفوتك خير كثير بل يفوتك العلم بالأمر على ما هو عليه، فكن في نفسك» هيولي -أي قابلاً لصور المعتقدات كلها- فإن الله تعالى أوسع وأعظم من أن يحصره

١- أنظر ما هي الصوفية ص٣٨ .

٢- الوكيل هذه هي الصوفية ص٩٣ . وعزاه إلى ص٣٩ من ذخائر الأعلاق شرح ترجمان الأشواق لابن عربي.

عقد دون عقد فالكل مصيب وكل مصيب مأجور وكل مأجور سعيد وكل سيعد مرضي عنه(١).

ولذلك فابن عربي يحكم بنجاة فرعون موسى ويقول معقباً على قوله تعالى: «قرة عين لي ولك» فبه قَرّت عينها [أي أمرأة فرعون] بالكمال الذي حصل لها، وكان قرة عين لفرعون بالإيمان الذي أعطاه الله عند الغرق فقبضه طاهراً مطهّراً ليس فيه شيء من الخبث»(٢). فهو يحكم لفرعون بالإيمان مخالفاً لنص القرآن الكريم في آيات كثيرة منها قوله تعالى ﴿**فأخذه الله نكال الآخرة والأولى**﴾. ويقول عبد الكريم الجيلي المتوفى سنة ٨٣٠هـ مبيناً عقيدته بوحدة الأديان وذلك في كتابه الإنسان الكامل:

وأسلمت نفسي حيث أسلمني الهوى ومالي عن حكم الحبيب تنازع
فطوراً تراني في المساجد راكعاً وإنِّيَ طورا في الكنائس راتع
إذا كنت في حكم الشريعة عاصياً فإنِّيَ في علم الحقيقة طائع(٣)

فلا فرق عند الجيلي بين المسجد والكنيسة وأنه وإن كان عاصياً لأمر الله في ظاهر الشرع -على حد زعمه- فإنه في الباطن مطيع لأنه أطاع إرادة الله.

١- هذه هي الصوفية ص٩٤ وعزاه إلى الفصوص ص١٩١ .
٢- هذه هي الصوفية ص ٩٥ وعزاه إلى الفصوص ص٢٠١ .
٣- هذه هي الصوفية ص ٩٦ وعزاه إلى الكتاب المذكور ج١ ص٦٩ .

واستمع إلى ابن الفارض في تقرير أن الله هو عين خلقه تعالى الله عن ذلك فهو يقول:

أممت إمامي في الحقيقة فالورى وورائي وكانت حيث وجهت وجهتي
ولا غرو أن صلى الأنام إلي أن ثوت بفؤادي وهي قبلة قبلتي
لها صلواتي بالمقام أقيمها وأشهد فيها أنها لي صلَّت
وما كان لي صلّي سواي ولم تكن صلاتي لغيري في أداء كل ركعة

ولابن الفارض ديوان كامل يخاطب الله فيه بتاء التأنيث على هذا المنوال. ولا يتسع المجال أيها الإخوة لنقل الشواهد على إيمان معظم الصوفية بوحدة الوجود ووحدة الأديان من كلام أقطابهم كابن الفارض والجيلي وابن عجيبة وحسن رضوان وابن عامر البصري والنابلسي والصدر القونوي وابن بشيش والدمرداش، وغيرهم، ومن شاء الوقوف على ذلك فليطلع على كتاب هذه هي الصوفية لعبد الرحمن الوكيل رحمه الله.

كرامات الصوفية:

لقد بالغ الصوفية في تقديس مشايخهم حتى رأوا أن كل ما يصدر عن الشيخ الصوفي حق وصواب بل فضل وكرامة، وقد سجلوا في كتبهم كرامات شيوخهم وهي أنواع حيث تعلو حتى تبلغ إلى حد إحياء الموتى وقد تهبط إلى حد يستحي من ذكره.

إحياء الموتى:

واستمع إلى ما يرويه عبد الرؤوف المناوي من أنواع الكرامات فيقول: «النوع الأول: إحياء الموتى وهي أعلاها فمن ذلك أن أبا عبيد اليسري غزا ومعه دابة فماتت فسأل الله أن يحييها فقامت تنفض أُذنيها.. وأن مفرجاً الدماميني أحضر له فراخ مشوية، فقال: طيري بإذن الله تعالى فطارت..

ووضع الكيلاني يده على عظم دجاجة أكلها وقال لها قومي بإذن الله قامت..

ومات لتلميذ أبي يوسف الدهماني ولد فجزع عليه فقال له الشيخ: قم بإذن الله فقام وعاش طويلاً»(١).

فلم تَعُدْ هذه كرامات بل معجزات كمعجزات نبي الله عيسى عليه السلام وهي خاصة به!.

الكلاب أولياء الصوفية:

ويحدثنا الشعراني عن كرامات العجمي فيقول:

«وقع بصره على كلب فانقادت إليه جميع الكلاب وصار الناس يأتون إليه في قضاء حوائجهم فلما مرض ذلك الكلب اجتمع حوله الكلاب يبكون. فلما مات أظهروا البكاء والعويل وألهم الله تعالى بعض الناس فدفنوه فكانت الكلاب تزور قبره،

١- هذه هي الصوفية ١١٦ الكواكب الدورية لعبد الرؤوف المناوي، ص١١ .

حتى ماتوا فهذه نظرة إلى كلب فعلت ما فعلت فكيف لو وقعت على إنسان[1]»؟.

ويدعي الشعراني أن سيده أحمد البدوي يتصرف في الوجود وهو في قبره فاسمع إليه يقول:«إن شيخي أخذ عليَّ العهد في القبة تجاه وجه سيدي أحمد البدوي وسلمني إليه بيده، فخرجت اليد الشريفة من القبر وقبضت على يدي، قال سيدي الشناوي: يكون خاطرك عليه وأجعله تحت نظرك فسمعت سيدي أحمد البدوي يقول من القبر: نعم».

ثم يقول: «وتخلفت عن حضوري للمولد وكان هناك بعض الأولياء فأخبرني أن: سيدي أحمد البدوي كان ذلك اليوم يكشف الستر عن الضريح» ويقول: «أبطأ عبد الوهاب ما جاء»[2].

وينازع المرء الحياء أن ينقل كرامات أو جرائم الصوفية التي تتعلق بإتيان البهائم علانية في الطرقات وغيرها وزعمهم بأن ذلك من الكرامات. ونسوق هذه الكرامة للشيخ إبراهيم العريان.

فيقول الشعراني:

«ومنهم الشيخ إبراهيم العريان كان يطلع المنبر ويخطبهم

١- هذه هي الصوفية ١١٣والطبقات ٢: ٦١ ترجمة العجمي.

٢- هذه هي الصوفية ١١٣ .

عرياناً. فيقول: [تأملوا خطبته].. السلطان ودمياط وباب اللوق.. وجامع طولون، الحمد لله رب العالمين».. قال: «فيحصل للناس بسط عظيم»(١).

وحتي السرقة.. تعتبر كرامة صوفية..

واستمع إلى الدباغ وهو قطب صوفي:

«أن الولي صاحب التصرف يمد يده إلى جيب من يشاء فيأخذ منه ما شاء من الدراهم، وذو الجيب لا يشعر»(٢).

وهذا صوفي يزعم أن رؤية شيخه أنفع من رؤية الله: قال أبو تراب لمريده يوماً: لو رأيت أبا يزيد البسطامي فقال: إني عنه مشغول فقد رأيت الله فأغناني عن أبي يزيد. قال أبو تراب: ويلك تفترّ بالله عز وجل، لو رأيت أبا يزيد مرة كان أنفع لك من أن ترى الله سبعين مرة(٣). يقول الغزالي: فأمثال هذه المكاشفات لا ينبغي للمؤمن أن ينكرها.

أيها الأخوة. وتدلنا هذه الأخبار أن أقطاب الصوفية لم يكتفوا باستحلال ما حرم الله من السرقة والفواحش بل جعلوا ذلك من علامات الولاية والكرامة. إن في ذلك لمصادمة

١- هذه هي الصوفية ١٠٣، الطبقات ج٢، ص١٢٩ .

٢- هذه هي الصوفية ص١٢٤، الأبريز للدباغ: ٢:١٢ .

٣- نقلاً باختصار عن أحياء علوم الدين للغزالي ج٤، ص٣٥٦ .

واضحة لتعاليم الإسلام وكفر صريح بنصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة. وقد أجمع العلماء في الإسلام على أن من استحل حراماً معلوماً بالضرورة فهو كافر.. فكيف بمن يرى ارتكاب الكبائر ولاية وكرامة؟.

ثم إن الظاهرة الخطيرة عند الصوفية هي دعاء غير الله من الأموات.. هذا هو الشرك الأكبر الذي حذر منه الله في القرآن: ﴿**ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذاً من الظالمين**﴾ (أي المشركين). يقول البوصيري شاعر الصوفية يخاطب الرسول:

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به   سواك عند حوث الحادث العمم

ماسامني الدهر ضيماً واستجرت به   إلا ونلت جواراً منه لم يضم

كلمة أخيرة:

أيها الأخوة.. قد يقول قائل ولماذا تهتم بشأن الصوفية هذا الاهتمام وتنقل عبارات ابن عربي وابن الفارض وغيرهم بعد أن مضى على وفاتهم مئات السنين وكان الأولى أن تشن الغارة على الشيوعيين والملحدين وعلى الذين يحكِّمون القوانين ويتركون شريعة الله وأحكامه ولماذا لا تتكلم عن الفرق الضالة كالقاديانية والبهائية والنصيرية؟. وأقول في الجواب:

يجب على كل مسلم وخصوصاً طالب العلم والداعي إلى الله أن يعمل جاهداً لمحاربة جميع المخالفين لشريعة الإسلام من شيوعيين أو ملحدين ومن قبوريين وصوفيين. وإنني ألاحظ أن كثيراً من الدعاة الذين لهم جهد مشكور في الدعوة إلى الإسلام يهتمون ببعض الجوانب ويتركون البعض الآخر.. بل يتناسونه فلم أجد أحداً يهتم بتحذير المسلمين من ضلالات الصوفية وخزعبيلاتهم إلا قليلاً، وربما أخذ بعضهم الحنق على من يدعو إلى تحقيق العقيدة ويحذر من الصوفية ومن دعاة الأولياء بحجة أن ذلك يسبّب فرقة المسلمين. بل وجدنا من كبار الدعاة من يجدد الدعوة إلى اتباع الصوفية ويؤلف في ذلك كتاباً سماه «تربيتنا الروحية» أو تصوف الحركة

الإسلامية»[1] وقد أظهر في هذا الكتاب مدى حبه للصوفية وإيمانه بمخاريقهم وكراماتهم فاستمع إليه وهو يتحدث عن كرامات الصوفيه وعلى الأخص أصحاب الطريقة الرفاعية فيقول ص٢١٧: «فإنكار أصل الكرامة لطبقات الصوفية إنكار غير علمي وليس في محله، وأهم ما ينصب عليه الإنكار ما يحدث لأهل الطريقة الرفاعية من كون النار لا تؤثر فيهم ومن كونهم يضربون أنفسهم بالرصاص أو بالسيوف ولا يؤثر ذلك فيهم، وهذه قضية منتشرة ومشتهرة محسة وقد تتبعها الكثير من المنكرين فرجعوا عن الإنكار، والواقع المشاهد أن ما يحدث لهؤلاء لا يمكن أن يكون سحراً لأن السحر جزء من عالم الأسباب وههنا لا تجد لعالم الأسباب محلاً، كما أنه لا يمكن أن يكون من باب الرياضة الروحية لأن هؤلاء قد تحدث للواحد منهم هذه الخوارق من دون رياضة روحية أصلاً بل بمجرد أن يأخذ البيعة عن الشيخ. بل أحياناً بدون بيعة وقد حدثني مرة نصراني عن حادثة وقعت له شخصياً وهي حادثة مشهورة معلومة جمعني الله بصاحبها شخصياً، بعد أن بلغتني الحادثة من غيره، وحدثني: «أنه حضر حلقة ذكر، فضربه أحد الذاكرين بالشيش (سيخ حديد) في ظهره فخرج الشيش من

١– للشيخ سعيد حوى.

صدره حتى قبض عليه بيده ثم سحب الشيش منه، ولم يكن لذلك أثر أو ضرر».

ثم يحتاط المؤلف المشار إليه من أن يحتج عليه أحد بأن من يفعل ذلك غالباً ما يكون فاسقاً غير تقي فكيف ينال الكرامة غير تقي فيقول: «أن الحجة الرئيسية لمنكري هذا الموضوع هي أن هذه الخوارق تظهر على يد فساق من هؤلاء كما تظهر على يد صالحين وهذا صحيح، والتعليل لذلك هو أن الكرامة ليست لهؤلاء بل هي للشيخ الأول الذي أكرمه الله عز وجل بهذه الكرامة وجعلها مستمرة في أتباعه». انتهى.

فاعجبوا أيها الأخوة من داع تنطلي عليه هذه المخاريق الشيطانية فيصدقها وهو محسوب من قادة الدعوة الإسلامية..

إنه يؤكد بأن الكرامات الصوفية حقيقة لا يسع أحداً إنكارها.. ونحن نقول للشيخ ما يمنع أن تكون هذه الكرامات بسبب تعاطي السحر أو بسبب تعاطي بعض الحيل كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حين تحدى الطرق الصوفية وأبطل دعاويهم الكاذبة وطلب من طائفة منهم أن يغسلوا أجسامهم بالخل والماء الحار قبل أن يمسوا النار فامتنعوا وخافوا لأنه كشف حيلتهم حيث عرف أنهم يطلون أجسامهم بأدوية

يصنعونها من دهن الضفادع وباطن قشر النّارنج وحجر الطلق وغير ذلك من الحيل المعروفة لهم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وقد يكون ذلك من فعل شياطينهم فهم قوم اقترنت بهم الشياطين كما يقترنون بإخوانهم فإذا حضروا سماع المكاء والتصدية أخذهم الحال فيزبدون ويرغون كما يفعله المصروع ويتكلمون بكلام لا يفهمونه هم ولا الحاضرون وهي شياطينهم تتكلم على ألسنتهم عند غيبة عقولهم كما يتكلم الجني على لسان المصروع، فإذا كان لبعض الناس مصروع أو نحوه أعطاهم شيئاً فيجيئون ويضربون لهم بالدف والملاهي، ويحرقون ويوقدون ناراً عظيمة مؤججة ويضعون فيها الحديد العظيم حتى يبقى أعظم من الجمر وينصبون رماحاً فيها أسِنَّة ثم يصعد أحدهم يقعد فوق أسنة الرماح قدام الناس ويأخذ ذلك الحديد المحمي ويمره على يده وأنواع ذلك ويرى الناس حجارة يرمى بها ولا يرون من رمى بها، وذلك من شياطينهم الذين يصعدون بهم فوق الرمح وهم الذين يباشرون النار وأولئك قد لا يشعرون بذلك كالمصروع الذي يضرب ضرباً وجيعاً وهو لا يحس بذلك لأن الضرب يقع على الجني فكذا حال أهل الأحوال الشيطانية، ولهذا كلما كان الرجل أشبه بالجن والشياطين -أي في

أعمالهم- كان حاله أقوى ولا يأتيهم الحال إلا عند مؤذن الشيطان وقرآنه فمؤذنه المزمار وقرآنه الغناء، ولا يأتيهم الحال عند الصلاة والذكر والدعاء والقراءة، فلا لهذه الأحوال فائدة في الدين ولا في الدنيا.

وهؤلاء أهل الأحوال الشيطانية في التلبيس يمحقون البركات ويقوون المخافات ويأكلون أموال الناس بالباطل لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر ولا يجاهدون في سبيل الله[١]».

١- فتاوى: ١١، ٤٩٥، ٤٩٦ .

أيها الإخوة الكرام: ليس التباهي بالكرامات من شعار الصالحين من الصحابة والتابعين ولا من أئمة الإسلام وعلماء المسلمين بعدهم فلم نسمع عن أحد من الصحابة ولا من كبار التالعين أو الأئمة الأربعة مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل رحمهم الله ورضي عنهم أجمعين.. لم نسمع أن أحداً منهم كانت له أحوال ولا كان يدخل نفسه في نار أو يضرب أحداً بشيش ولا سكين ثم يحييه، ولا كذلك من العلماء المعاصرين ومن أعظمهم الشيخ عبد العزيز بن باز والشيخ عبدالله بن حميد ولا توجد هذه المخاريق إلا في دائرة الصوفية قديماً وحديثاً. ولا شك أن ذلك أكبر دليل على أنها أحوال شيطانية لا رحمانية.

وأعود فأقول: لما رأيت أكثر الدعاة غافلين عن أهم شيء في الإسلام الا وهو الدعوة إلى توحيد الله وإلى تصفية العقيدة وتخليصها من الشرك الذي يتمثل في عبادة الأولياء والعكوف على المقابر ودعاء الأموات والغائبين كما يسكتون عن ضلالات الطرق الصوفية المعاصرة المنتشرة في البلاد الإسلامية بكثرة كاثرة وكل من يخرج خارج هذه البلاد يلمس سيطرة الطرق الصوفية على أذهان المسلمين في مصر وبلاد الشام والسودان والمغرب وأفريقيا والهند وغيرها من طريقة رفاعية إلى تيجانية

إلى أحمدية إلى قادرية إلى برهانية إلى شاذلية إلى كتانية إلى درقاوية إلى نقشبندية وغير ذلك مما يصعب عده وإحصاؤه... لما رأيت ذلك أحببت التنبيه والتذكير بأمر أعتقد أنه أمر مهم جداً كما أحببت أن يكون لدى إخواني طلاب دار الحديث الموقرة وهم من بلدان إسلامية مختلفة يوجد بها كثير من الطرق الصوفية أحببت أن يكون لديهم معرفة وحصانة من مرض الصوفية الفتاك. فكما أن للأجسام أمراضاً تفتك بها فإن للأرواح والقلوب أمراضاً معنوية تفتك به، فينبغي أن يهتم العلماء والدعاة بتحصين القلوب كما يهتم الأطباء بتحصين الأبدان.. وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

فهرس الموضوعات